

عولمة الجسد الأنثوي في الفضاء المدني

Globalization du corps féminin dans l'espace urbain

أمنية حماني¹، نورة بعيو²¹ جامعة مولود معمري تيزي وزو (الجزائر)، minahamani17@gmail.com² جامعة مولود معمري تيزي وزو (الجزائر)، noura.adab@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2019/12/03 تاريخ القبول: 2025/12/31 تاريخ النشر: 2025/12/31

Abstract:

Dans cet article, nous essayons de travailler sur le dualism de la ville et du corps ,dans le context de la globalization du corps féminin dans l'espace urbain, base sur le corps de la femme et ses relations avec la ville à l'ère de la mondialisation. A' travers une lecture culturelle interpretative, nous nous appuyons sur les declarations de critique culturelle.

Key words: la mondialisation.

Espace. le corps . la ville. Feminine.

المخلص:

نحاول في هذه الورقة البحثية الاشتغال على ثنائية المدينة والجسد، من منطلق عولمة الجسد الأنثوي في الفضاء المدني، انطلاقاً من جسد المرأة وعلاقته بالمدينة في زمن العولمة.

من خلال قراءة ثقافية تأويلية نستند فيها لمقولات النقد الثقافي، بما تحمله من إجراءات نسقية تساعد على استتطاق النص والبحث في المسكوت عنه، والتغلغل في عوالمه الممكنة.

الكلمات المفتاحية: العولمة. الفضاء. الجسد. المدينة. الانثوي.

1. مقدمة:

ارتبطت الرواية المغربية في جل نصوصها، وعلى امتداد عقودها الزمنية السابقة، بالفضاء الحضري المدني تحديدا، واحتفاء الرواية المغربية بالمدينة لا يمكن فهمه وتلقيه، على مستوى العديد من نصوصها المتلاحقة عقدا بعد آخر، فقط مجرد ارتباط تقني بعنصر يعتبره المنظرون والنقاد أهم مكون في البناء السردى، بقدر ما يتعين ملامسته أيضاً كارتباط بالمدينة بوصفها فضاء إشكالي في الرواية.

وان كان بعض الروائيين المغاربة قد شخصوا في نصوصهم الروائية جوانب من تلك الصورة الراضة للمدينة، باعتبارها صورة للاغتراب والضياع والأسى وفقدان التواصل مع المجتمع المدني المحكوم بسرعة الحركة وعدم التجانس وانفلات العلاقات الاجتماعية فيه، فان هذا الانجذاب الجديد بين الروائي والمدينة يتخذ عدة أوجه للالتلاف والارتباط منها ما هو وجداني ونوستالجي، ومنها ما هو تاريخي وسياسي واجتماعي، ومنها أيضا ما هو ثقافي وفلسفي وجمالي، وذلك بحسب طبيعة التحولات الطارئة في الفضاءات المدنية والرواية المغربية .

حيث تتعدد القراءات وتتنوع أساليب توظيف المدينة في المتون الروائية اخترنا الاشتغال على رواية مدنية بامتياز ، بداية من العتبة التي ربطت القارئ منذ الوهلة الأولى بتلك الثنائية الإشكالية ، ثنائية **الجسد والمدينة**، انطلاقاً من قراءة الشخصيات (جسد المرأة) في جزئياته، ضمن فضاء مكاني متمثل في المدينة ، في زمن العولمة (إي في حقبة زمنية معينة تفرض رغباتها على الكل ، وهي رواية **جسد ومدينة** للروائية المغربية **زهور كرام**، نص روائي مشبع بالانفعالات والصور ذاك الحي الهامشي في تلك المدينة الكبيرة.

تلك المدينة التي حملت في ثناياها تناقضات مجموعة من الشباب الحالمين بغد أجمل وحطمتهم بأبشع الصور، وكأن العولمة بكل جوانبها اختارتهم هم لتتنزل غضبها وإباحيتها وتفرقتها وتهميشها عليهم، هذه الرواية التي تحمل عدد لامتناهي من الأنساق الثقافية والدلالية ، كل ما تحتاجه هو قارئ نموذجي يتغلغل في تلك العوالم التي شكلتها **زهور كرام** على شكل حكايات لمجموعة من الشباب ضاعوا في دهاليز وخفايا المدينة التي حرمتهم من ربيع شبابهم.

2. تحديد مصطلحات هذه الورقة البحثية :

1.2 العولمة La globalisation :

إن الوقوف عند بعض التعريفات المطروحة للمصطلح، يهيئ لنا نوعاً من الإدراك التراكمي، لكن لا بد أن نصرح أنه من الصعوبة الإلمام بكل التعريفات التي تناولت المصطلح، لاسيما أنه عنصر من العناصر الثانوية لمقالنا هذا ، فالعولمة مصطلح انتشر في السنوات الأخيرة فكرته الأساسية ازدياد العلاقات المتبادلة بين الأمم المتمثلة في تبادل السلع والخدمات، أو في انتشار المعلومات والأفكار وسرعة تدفقها، أو تأثير أمة بقيم وعادات وتقاليد وقواعد غيرها من الأمم.(اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي ، د ت، 334)

حيث يشير مفهوم العولمة من الناحية اللغوية إلى: تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله، في حين أن هذا التوسع يتخذ نزعة توسعية في ظل العولمة، حيث يرى الجابري أنه في إطار " العالمية / Universalisme _ Universalité " يكشف عن الطموح إلى الارتقاء بالخصوصية إلى مستوى عالمي إنساني، فالعولمة احتواء للعالم، وكانت العالمية تفتح على ما هو عالمي وكوني(محمد عابد الجابري، 1998، ص16_17) ، أي أن الجابري ذهب إلى أوسع تعريف وهي الكونية الانفتاح على كل شيء.

2.2 الرواية والعولمة Roman et mondialisation :

الرواية أداة ناعمة من أدوات العولمة الثقافية، وعرفنا فيما مضى تلك الأدوار التي لعبتها الرواية في تشكيل الوعي القومي والضمير الجمعي للأمة ، فقد أصبحنا نرى اليوم اتجاهها روائياً معاكساً يميل إلى عولمة الأفكار والثقافات والاتجاهات الروائية بدلاً من مركزتها في شكل استقطاب أحادي اللون والنكهة الثقافية، لا تخفي بالتأكيد.

فعلاقة العولمة بالرواية هي علاقة المستخدم بالمستخدم ، فالعولمة سخرت لإيصال أفكارها كل ما وجدته يصلح لحمل الخطابات والرسائل العولمية لتمررها إلى العالم ككل، فسخرت لذلك الرواية ، باعتبارها جزء من التراث العالمي المقروء، وذلك بترويج كل الأفكار التي تخدم مصالحها، مروراً بخطابات الجسد في الرواية وخطابات السلطة وخطابات الهوية وخطابات الجنس كلها ضمن فضاءات متعددة أبرزها المدينة، فالرواية عرفت في المدينة

وعزفت بدورها المدينة و خباياها، ضمن قالب روائي جعل من المدن والقرى مسارح تتلاعب بأدوار شخصياتها فيها .

3. الاشتغال العولمي في الرواية :

1.3.العالم الحكائي (جسد ومدينة):

رواية " جسد ومدينة" للكاتبة المغربية " زهور كرام"، صدرت عن مؤسسة الغني للنشر والتوزيع الرباط، المغرب، سنة 1996، حيث جاءت الرواية في 92 صفحة ، موزعة على ستة عناوين:

- من وحي المطر .
- حين تسكن المدينة الأعماق.
- سعيد يأكله الحزن.
- الجسد يدخل المزاد العلني.
- إبراهيم يمشي في جنازته.
- العودة في زي خيار .

تصور لنا زهور كرام في هذه الرواية رحلت العذبات التي عاشها مجموعة من الشباب في حي هامشي داخل مدينة (الحي الهامشي) من المدن المغربية التي تدعي الحضارة، حيث يصدم هؤلاء الشباب بتلك المدينة التي اعتقدوا يوما أنها الحضر الدافئ لأجسادهم الباردة بهراوة الشرطي وسوط الجلاد ورطوبة السرايب المعتمة، أو بمقص الرقيب لينتهي كل منهم إلى مصيره الفاجع: الهوة، السجن، الموت انتحاراً، أو أن تتحول إلى مومس ثمنها مجرد " جواز سفر" يمكنها من الرحيل والهروب، هذا كله ضمن فضاء مديني مغلق حطم أحلامهم المشروعة وأدخلهم في اللامشروع واللاشرعي ، حيث فقدوا قيمهم التي حملوها معهم من قراهم الطاهرة وأضاعوها في دهاeliz المدن، ضياعا من كل النواحي ثقافيا واجتماعيا وسياسيا، ضمن مجموعة من الشخصيات التي تلاعبت الكاتبة بأدوارهم فتداخلت تلك الشخصيات مع بعضها البعض سواء على مستوى الحكيم أو مستوى الأدوار التي تؤديها داخل المتن الروائي، فمن الشخصية البطلة (آمال) التي تنقسم الدور مع الشخصية الساردة (الراوية)، وأنها مثلها تحمل من حبيبها سعيد، تماماً كما حملت آمال من حبيبها إبراهيم، وبأن انتظار المولود الجديد بالنسبة للاثنين هو إشكالية جديدة لمعاناة جديدة ضمن

حي هامشي هواية ساكنيه الغيبة والنميمة والحكي في أعراض الآخرين، لنكتشف في النهاية أن سعيد هو شقيق آمال ، وإبراهيم حبيب آمال هو صديق أخيها ، هؤلاء الأربعة قصة واحد تعيد نفسها بطريقة مختلفة، ونهاية متشابهة لسعيد وإبراهيم، ومعاناة مختلفة للراوية ولآمال التي وضعت جسدها سلعة للخروج من هذه المدينة التي استباححت جسدها وحولتها من معلمة مثقفة إلى مومس متقلبة بجسدها المندس من هنا وهناك.

أبدعت زهور كرام بأسلوب مشوق وطريقة خلاقة بالانتقال من فضاء إلى آخر، هروبا من الفضاء المدني والبحث عن فضاء جديد، فضاء آمن لشخصياتها التي انفصلت بأجسادها عن المدينة وظلت متمسكة به شعوريا، فانتتهت الرواية كما بدأتها الكاتبة من ضباب إلى ضباب ، وكأنها تقول للقارئ المدينة تحمل عدد لا متناهي من الخبايا والأمكنة الضبابية.

2.3 ثنائية الجسد والمدينة:

الجسد وجود وعلامة وثقافة، له من الخصوصية ما لا يمتلكه غيره، لا يتحقق فعل الوجود العام ويكتمل إلا بوجود الجسد الإنساني وتحقق كينونته، والتعامل مع الجسد فيه من الخصوصية الشيء الكثير، خاصة إذا كان الأمر متعلقاً بالجسد الأنثوي الذي يملك تميزه التاريخي والثقافي والاجتماعي، غير أن المتنبع للفكر الإنساني في مساره التاريخي يلقي نظرة دونية للمرأة وجسدها بشكل يجعل منها ومن أئوتتها موضع شك وارتياب ويربط بينها وبين الجنس الذي هو ضرورة بيولوجية ملحة رطا فيه الكثير من التدنيس بعد أن كان الجنس طقساً مقدساً لدى الشعوب والحضارات القديمة السابقة".(سمير الخليل، دراسات ثقافية، ص23_ص24).

إن المقاربة بين الجسد والمدينة تذهب إلى حد التطابق المنطقي فعلاً، بين بنية الجسد والمدينة ومكوناتهما، فجسد الإنسان ليس أطلالاً خربة ومهدمة أو رخيصة الصنع وليس قبراً ولا شاهد قبر كذلك، وإنما هو مدينة قائمة بذاتها، يسيّرهما مالکها صاحب الجسد ذاته ألا وهو العقل، الذي يفيض بنوره على أهل مدينته التي هي من لحم وعظم ويوزع عليهم الهبات والطيبات، ويعطي كل ذي حق حقه، أما إذا تخلف هذا العقل واضطرب وجمد وانطفأ نوره تهاوت مدينة الجسد واهتزت أركانها ، تماما كما تنهار المدينة الحقيقية عندما

يضرِبُ الجهل والظلم والاستبداد أرجاءها الرحبة، هكذا جاءت العلاقة بين الجسد والمدينة عند زهور كرام، لأن ثيمتها وهاجسها ومحورها المركزي، يكاد يتركز على العلاقة بين الجسد والمدينة فإن الجسد يصبح هو المدينة أو أن تصبح المدينة جسداً، ومثل هذا الاستغراق أو الحلول الصوفي ينفتح باتجاه العربي الرحب:

"...كنت أمارس فيك تجربة الحب الكبير...أتعلم فيك ملحمة العشق العظيم...أمارس فيك كل أشكال الحب...صرتي حبي...أمي...مدينتي...سررتي قضيتي...أنت البداية والطريق...اختزلت فيك كل الفضاءات والأزمنة... صرت كل المدن العربية التي يتكشف وحل مستنقعاتها..." (زهور كرام، 1996، ص23)، فمحور ثقافة العالم خارج وعي المرأة يركز على استبطان ثقافة الجسد لديها، بمعنى أن فهم المرأة ووجودها يتعلق في فهم جسدها ووجوده، وهذا يشكل تدفقاً سارياً للمعلومات التي تعزز مكانة هذا الجسد وشغله حيزاً في الفكر الإنساني". (عبد الغفار العطوي، 2013، ص5).

فهم الإنسان لجسده أو لمدينته الجسدية، يأتي عن طريق الوعي والإحساس والتفكير الذي يغذي هذه المدينة الاستثنائية وينير ظلامها، ومن هذا الفهم الذاتي ينطلق لفهم مدينته الكبرى أو جسده الأكبر، سواء بمعماريتها أو بما يخفيه هذا المعمار في قلب ذلك الجسد الأصغر، من خلال تداخل الجسد بالمدينة والمدينة بالجسد ويتحول كل مهما للآخر... فزهور كرام خلقت علاقة سحرية بين المدينة وأجساد ساكنيها وكأنها استعانت بالحلول الجسدي في الآخر، "...المدينة والجسد شيان يلتقيان في التآكل يتلون بحسب جغرافية الجسد" (زهور كرام، 1996، ص25). وتصبح المدينة والجسد شيء واحد: "أصير أنا المدينة حين أصبح حكايتها" (زهور كرام، 1996، ص78)، فتخلق امتزاج بين الجسد والمدينة أو نوع من ذوبان الأول في الثاني والثاني في الأول، ومنه يمكننا القول أنه "لا يرى في الجسد في الخطاب إلا بعده الجنسي الشهواني، مما جعل في الصورة الموجودة للجسد في المجتمع العربي، تعتمد على الإغراء الجنسي مما يعكس الأخلاقيات المهدورة في ثقافتنا، لأنها تنظر إلى الجسد باعتباره جملة من الإغراءات التي تشكل خطر على الأمة ومصدر لدمار الخطاب الأخلاقي فيه، مما جعل في الخطاب الثقافي الحداثي موجة جديدة للوعي يحمل في طياته صراعاً ثقافياً وقيمياً، مما يعكس أن الثقافة العربية داخلية في دائرة

ثقافة مختلفة، تقوده بالدرجة الأولى قيم الشرق والعار تؤججها موجة تحرر في ظل خطاب العولمة ، فيجعل لظهور الجسد قيمة ثقافية رمزية تجاوزت ثقافة العقل إلى ثقافة الجسد". (محمد سالم حسام الدين اسماعيل، دت، ص164).

3.3. نسق المدينة العاهرة/ عولمة الجسد :

عُرفت المدينة في المتون الروائية عموما حيث سكنت " المدينة جسد النص الروائي المغاربي وسكنها، فتهمين عليه فضاءات تجربة وتضاريس ذكرى ويتوق إلى احتوائها مساحة كتابية "(بوشوشة بن جمعة، 2009، 114) ، هكذا سبقنا بوشوشة بن جمعة في حديثه عن الرواية وعلاقتها بالجسد، وعلاقة المدينة بالجسد واضحة في المتن الروائي ولاسيما جسد المرأة "...فالمدينة تحكي ذاتها فوق جسدي... تغرس المدينة أقدامها بعنف فوق جسدي... وجسدي يتلذذ بالإنغراس...". (زهور كرام، 1996، ص7)

شخصت لنا زهور كرام حالة الجسد في الفضاء المدني في زمن العولمة، حيث حولت هذه الأخيرة كل شيء إلى سلعة، فقد ظهر ما يسمى بعولمة الجسد الأنثوي عن طريق تسويق نموذج للجسد الأنثوي العالمي والذي يتسم بالنعافة، يجري رسم صورة للأنثى المغربية، الأنثى الأبدية ذات الفتنة الخالدة التي لا تصيبها الشيخوخة أبداً، ويظل سحرها الجنسي فعالاً، طالما استهلكت كل أنواع مساحيق التجميل وابتلعتها، يصبح جسد المرأة إذن سلعة من السلع ويفقد مواصفاته الإنسانية ويدخل في عملية العرض والطلب إذا ما أسقطناه على الرواية التي بين أيدينا، بداية من آمال تلك المثقفة التي لم تدخل يوما إلى صالونات الحلاقة لأنها ببساطة لم تشعر يوما أن جسدها في حاجة للتلاعب به وتلويحه بشتى أنواع المساحيق لأنها كانت في عيني إبراهيم أجمل فتاة إلى وصولها لفرش ذلك الرجل الغريب الذي استباح جسدها مقابل ورقة عبور وخروج من رحم المدينة الذي كان يمثل الأم... يبدو جسد آمال فوق السرير الملفوف بالحبر والمطرزة حواشيه بلدونتيل في الفندق الشاطئي جثة يتم تغليبها على جميع الجوانب... أين منبع الأثوثة...." (زهور كرام ، 1996، ص50).

لم تعد آمال تشعر لا بأنوثتها ولا بجسدها الذي دفعته كضريبة كبيرة من أجل العبور، لقد أصبحت جثة هامة تتخبط وسط ذكرياتها مع إبراهيم في مدينتها التي مثلت لها

الأمل والحب يوماً، فذهبت الروح وبقي الجسد...، جسد ظمآن للورقة التي يختلف لونها حسب كشف الجسد لأسرار أنوثته..." (زهور كرام، 1996، ص 50).

هذا في البداية لتحاول فيما بعد " الانفلات...لقد تمت محاصرة الجسد...يمتلئ المستنقع، تفيض المدينة، تحاصر المدينة، المستنقع صار حصارها..." (زهور كرام، 1996، ص 50).

هكذا استباح تلك المدينة العاهرة جسد آمال الطاهر "...وتفيض المدينة بصورها الماضية، تتحرك أزمنة يحضر ابراهيم وسط الدخان المتكاثف ورائحة الكحول...تشهد صورته تجربة الجسد...تذوب صورة ابراهيم...يتغير لون الجسد...طعم الجسد...رائحة الجسد...تبتعد صورة المدينة....إنها جثة هامدة يتم تقليبها" (زهور كرام، 1996، ص 51)

امتزجت في هذه الأسطر معاناة آمال والإبداع السردي لزهور كرام التي فشكت لنا لوحة فنية درامية شرحت فيها بدقة كيف استباحت المدينة الأم جسد ابنتها البارة لها، تلك البنت التي كان مجرد تفكيرها في الهروب من مدينتها خيانة وخطيئة، في قالب سردي شاعري مميز، بأنامل ناعمة .

فصورت لنا زهور كرام كيف أسهمت المدينة في عولمة جسد آمال وأخرجته من المقدس إلى المدنس العالمي، كيف استباحت العولمة جسدها من أجل وثيقة هي حق لكل مواطن، حسب تعبير أمال: "...أنا ما كنعرف حد، وعلاش...بالضرورة خصني نعرف شي حد عاد نحصل على الباسبور اللي هو حق مشروع لكل مواطن..." (زهور كرام، 1996، ص 52).

تدفع هذه المدينة العاهرة التي تدعي الشرف بجسد المرأة إلى المزاد العلني، "...المهم، تبدي بجسدك...هو اللي وصل..." (زهور كرام، 1996، ص 54)

بعدها تجد آمال نفسها في عالم إباحي داخل تلك الفضاءات المغلقة الموجودة في قلب المدينة التي نشأت فيها، فترميها جثة بانسة بعد ما سلبتها أعلى ما تملك جسدها الطاهر...بدأت آمال تنزع ثيابها وهي تبكي وكأنها تزيل مع ثيابها الداخلية قطعاً من لحمها،...تفضح المرأة ليلة البارحة...تكشف سر العري...فتلمس آمال جسدها...تأمله في المرأة فتبكي..." (زهور كرام، 1996، ص 52)

فتصدم آمال صدمة ثانية بعد صدمتها الأولى أهذه هي المدينة التي حلمت أن ترى أطفالها مع سعيد يلعبون هنا وهناك، أهذه هي المدينة التي تمننت أن تزف فيها طاهرة نقية لببت زوجها، كيف ستتلاعب هي بها وتستبيح جسدها وتدنسها قبل الأمس كانت هي ابنة المدينة الطاهرة...وبالأمس صارت عاهرة"...فالأمس سر من أسرار هذه المدينة التي فاضت أسرارها حتى امتلأ مستنقعها وتناسل أطفالاً..."(زهور كرام، 1996، ص70).

لقد حولت العولمة جسد المرأة إلى وحدة اقتصادية وعملة جديدة، تعمل على تعظيم الربح وقضاء الصفقات والمعاملات الإدارية، نازعة بذلك القداسة عن جسد المرأة، من خلال تحييد المضمون الأخلاقي لوظيفة المرأة، فهناك وظائف كانت مشينة وهامشية أصبحت مقبولة، بل مرغوبة، ومن ثم أصبحت المرأة تعرف كيف تسوي معاملاتها الإدارية ليس عن طريق الرشوة كما كان معمول به سابقا في المدن الكبرى وما جاورها بل عن طريق الجسد وما يوفره من امتيازات.

فشيوع ثقافة الجسد والجنس والشذوذ الجنسي والأخلاقي عبر القنوات المشفرة والقنوات الفضائية الأخرى والانترنت والهاتف ووسائل الاتصال الأخرى، يتماشى مع خطوات العولمة لهدم الأسرة وتفكيكها إذ أنها تسير في نفس الإطار والاتجاه لاسيما في المدن الكبرى، فظاهرة المساومة بالجسد لم تظهر هكذا من العدم، بل كانت وليدة لكل تلك الموجات الإباحية التي حملتها العولمة في شكل اشهارات وتسويق لجسد المرأة ، حتى أصبحت سلعة مريحة وجذابة في السوق، وفي ظلها تزدهر أسواق الدعارة وتنتشر روائح الفساد في كل الأرجاء، ومن المؤسف أن يتم التعامل مع المرأة بطريقة مهينة وكديكور إعلامي وتجاري للإثارة وشحن الشهوات.

تعددت أسباب الابتزاز الجسدي وممارسة الدعارة و المتاجرة بالجسد في المدن الكبرى، واغلبها يعود لتلك الظروف الصعبة التي فرضت على أبناء المدينة، فحولتهم إلى "عملة صعبة في مدينة حولتها إلى سكة حديد تعبرها البطون القادمة منتفخة قيحاً...تسمحون بالعبور ثم تجعلون عبور أجسادنا حكايات لأطفالكم ينامون عليها في كان يامكان..."(زهور كرام، 1996، ص72)

بهذه الكلمات القاسية أماطت لنا زهور كرام اللثام عن ذلك الصراع الذاتي الذي يصور صعوبة الانتقال من الطهر إلى العري، من القداسة والحشمة إلى التعري وكشف الجسد، فالمدينة كانت اقسي بكثير على آمال مما لم تتصوره يوما.

4.3.النسق السلطوي في الفضاء المدني:

تلاعبت القوى العظمى في العالم بمصائر الدول الضعيفة، حيث سيطرت على الطاقم السلطوي في جل دول العالم الثالث، وبثت في حكامهم أخلاقيات العولمة، تلك الأخلاقيات التي تبيح للحكام وأصحاب السلطة التلاعب بمستقبل الشعوب والمواطنين من خلال تسخير المناصب السلطوية و استغلالها لأغراض شخصية سلبية، وهذا ما سنراه في الأسطر القادمة، ظهرت في الرواية من خلال صراع الشخصيات البارزة ضمن فضاءات متنوعة تنسم غالبا بالانغلاق، هذا الانغلاق الذي يصدر من الهيئات العليا في شكل خبايا وخفايا.

حيث صورت زهور كرام صرخة الصراع بين الشخصيات من خلال الدوائر المغلقة للفضاء الذي كانت تتخبط فيه هذه الشخصيات وتحلم بمعاينة فضاء أرحب، وكان لابد من المجاهدة والحلم وتحقيق تلك الرؤيا التي كانت تطارد سعيد في صحوه، وهو يتأمل كل يوم من النافذة تلك الخطى المتعثرة التي تشبه أمواج السراب في صحراء العدم...يحلم بالأطفال الذين تسكن أجسادهم أحوال ذلك المستنقع العين الذي يتسع باستمرار، حتى أن هذا المستنقع أضحى هما من همومه الكثيرة..."حتى المستنقع شكله دائري والأطفال يطوفون حوله...أشعر بالإختناق...بالدوار من كثرة الطواف...كيف نفك الدائرة..."(زهور كرام ، 1996، ص18).

كان الفضاء فضاء مغلقا أسر لحرية سعيد، فهو لا يقصد بمراقبته للحي من نافذته الصغيرة التي أصبحت عادة أنه اختنق من تلك الجدران أو تلك البناءات المترابطة داخل ذلك الحي الهامشي الذي يحمله ذلك السور..." والسور... غريب أمر هذا السور الذي يحيط بالحي "(زهور كرام، 1996، ص23) ، بل كان يبحث عن تلك الحرية التي سلبت منه، عن تلك الحرية التي كانت سبب في يتمه المبكر، تلك الحرية التي جعلت من أمه الأب والأم في تلك المدينة الظالمة.

تحدث سعيد عن دائرية المكان وكأنه زنزانة لا مخرج منها بطريقة فلسفية تستدعي الحديث عن النسق السلطوي الذي أخفته زهور كرام بين سطور روايتها، نسق يأبى السكوت عن ظلم أسياذ المدينة، فجسد سعيد هنا اختنق ليس من ضيق الفضاء فقط بل من ضيق شساعة المدينة التي سلبته الحرية.

"....إنها عادة، قيل أنها من نتائج ضيق البيوت، ولذلك يخرج الطالب ليلاً يبحث عن المساحة الشاسعة في الشارع..." (زهور كرام، 1996، ص19)، "...هنا فضاء البيت الضيق، وهناك ذاك السور المحيط بالحي الذي زاد شدة الخناق على أهل الحي..." والسور... غريب أمر هذا السور الذي يحيط بالحي... وكانت المفاجأة حين وجدت عالماً بشرياً يختبئ وراء السور..." (زهور كرام، 1996، ص24_25).

استعانت زهور كرام بالفضاء الضيق البيت والحي المحاط بسور وصالون الحلاقة وغرفة الفندق لتخبر القارئ الذكي أن ما في المدينة من ظلم سلطوي أشد وطأة على النفس من ضيق المكان، وكأنها في كل مرة تعود إلى تلك الثنائية التي توحد الجسد في المدينة وتوحد المدينة في الجسد، فما يفعله ضيق المكان بالجسد الأصغر هو ما تفعله المدينة بساكنيها من خلال الظلم السلطوي المسلط على أهل تلك المدينة.

اشتغل النسق السلطوي بامتياز في جل شخصيات الرواية بداية من بطلت الرواية أمال تلك المعلمة المثقفة التي لم تتعرف على خبايا السلطة والبيروقراطية إلا من خلال دفعها ضريبة لهذه المعرفة المتأخرة، فمن غير المنطقي أن تكون أمال بنت المدينة هي الغريبة عن المدينة التي ستسلب منها جسدها وتدنسه بعدما كانت تقدسه وتجهزه لتزفه لإبراهيم ذلك الحلم الذي ما اكتمل، بداية من جسدها... شي تسريحة جميلة لشعرك، وتحليق ملونة لوجهك.. كلمة من هنا وكلمة من هناك... تجعل المسؤول يتنحى ويبوس تراب رجلك ويقول شيبك ليك أنا عبد ين يديك، ها الباسبور" (زهور كرام، 1996، ص54)... فلعبة الجسد كانت لإرضاء المسؤول، والمسؤول هو طفل السلطة المدلل، في المدينة العاهرة.

إن الحديث عن النسق السلطوي في هذه الرواية يفتح العديد من التساؤلات إذا ما ربطناه بالعولمة، ألم تكن الرشوة أرحم لتسوية المعاملات الإدارية، أم أن ما خلفته العولمة في العالم العربي هو استباحة جسد المرأة، وإسكات المعارضة، في هذه النقطة بالذات اكتمل ظلم المدينة لساكنيها في زمن العولمة التي نشرت سمومها في المجتمعات العربية

واستهدفت القيم واستباححت الأجساد لإشباع الرغبات الجنسية على يد صانعي القرار في مدنها العربية، أما كان للمدينة أن تكون أكثر عطفا وتفهما للحب الذي لو لم يرغب عن حياة آمال التي مات فيها الأمل، وتقد الرغبة في الحياة وتسلم جسدها للمجهول، أم أن تلك الكلمات التي قالها إبراهيم هي من نفته بعيدا مدينته وعن حبيبته وعن حلمه"...لأني أعشقتك قررت أن أنسحب من حياتك...أن أنسحب من مدينتنا الكبيرة العريضة التي وحدنا أفقها وما زفنا الأفق...أن أنسحب من المدينة بعدما انفلت منا حلمها الكبير...ضاع الحلم يا آمال..."(زهور كرام، 1996، ص58) نعم هكذا فقدت آمال الأمل في مدينتها وحبها وجسدها.

5.3 النسق الجمالي للأنثى/ صالونات الحلاقة وخفايا المكان:

مثلت صالونات الحلاقة في المدينة فضاءات مغلقة تعكس ثقافات مفتوحة، خفايا مخيفة اكتشفتها لأول مرة تلك الفتاة التي لم تزر صالون الحلاقة الموجود في حيها وهي التي كانت تظن أنها تعرف حيها تمام المعرفة، فهي ابنة المدينة البارة بأمها"...ولأول مرة أدخل صالون حلاقة النساء الذي الذي يوجد بحيينا..."(زهور كرام، 1996، ص61).

استطاعت زهور كرام باستغلالها لفضاء مغلق كصالون الحلاقة أن تمهد للقارئ كيف تتسرب سموم العولمة لحياة المرأة، وكيف تساهم هذه الفضاءات المغلقة التي تتواجد في قلب المدن الكبرى في تقشي أورام العولمة في جسد المدينة وانطلاقاً، من جسد الأنثى، فبتعرف آمال على هذا الصندوق العجيب يفشي للقارئ أسرار النسق الجمالي الأنثوي الذي تلاعبت به تيارات العولمة في المدينة، آمال التي أحست بالغيرة في حي مدينتها الذي ولدت فيه، لكونها لا تعقل عن خفاياه شيء"...يزدحم الصالون...بخان السجائر يتطاير وأجساد شبه عارية وأحمر الشفاه يضيء كل وجه، ثم لغة، نعم لغة جديدة أسمعها لأول مرة...لم أفهم معجمها_ كان غريباً علي_ وأنا التي اعتقدت أنني أحمل المدينة انتماء...أحسست بالغيرة في حي مدينتنا الذي ولدت فيه..." (زهور كرام، 1996، ص61).

هكذا بدأت آمال في التعرف على خبايا وخفايا حيها الذي كانت تفخر بالانتماء إليه، بداية بالشعور بالغيرة مروراً بالدهشة والذهول ثم التعطش لسماع المزيد وصولاً للتعود والاعتیاد والعادة، والقضاء النهائي على شخصيتها المتقنة والوصول إلى التعري ، هذا ما

يفعله الورم الخبيث إذا ما سكن جسد المريض، وهذا ما فعلته العولمة بنساء حي المدينة واحدة بعد الأخرى.

تقننت زهور كرام في البث المباشر الذي يتلمسه القارئ وهو ينتقل بين سطور الرواية ويتعرف على تلك الدلالات المبتوثة بين ثايا السطور والعوالم الممكنة والغير ممكنة التي قيلت ولم تقال ضمن ذاك الفضاء المغلق الخائق من جهة والرحب والشاسع من جهة أخرى، فهو المتنفس الوحيد الذي تتعري فيه أجساد النساء عن سابق إصرار للكشف عن أسرارها والمفاخرة بنوبها وخطاياها، فمن اللحظة التي سمحت أمال بعبور السيدة ميلودة صاحبة الصالون إلى عالمها، بدأت في الخروج من عالمها الطاهر والمثالي..."كان ذلك بداية عبور السيدة ميلودة إلى عالمي، لم تأخذ ثمن التسريحة بدعوى أني ابنة الحي ولأول مرة اسرح فيها شعري عندها..."(زهور كرام، 1996، ص65).

هذه كانت الخطوة الأولى لمشوار الآلاف من الأميال التي مشتها أمال من حبيبها وإلى حبيبها، قطعت أشواطاً عديدة في فترة زمنية قصيرة، فقد كانت المدينة التي حملتها أمال انتماء في داخلها كريمة معها ومع جسدها لحد الإشباع..."صرت مدمنة على الصالون، أتردد عليه كثيراً ليس انشغالاً بشعري ولكن انشداداً إلى عالم نساء الصالون، بدت لي المدينة خلف كلامهن وفكرت لو جمعنا نساء كل صالونات المدينة ثم طلبنا منهن الحديث عن أنفسهن، فقط أنفسهن، ترى كم حكاية ستعري وجه المدينة، وأنا التي توهمت أني أحمل المدينة سرا..."(زهور كرام، 1996، ص65).

تنوعت تلك الحكايا وتعددت أشكالها ولكنها، فضحت أسرار المدينة، فمن النسق الجمالي الذي يتخيله القارئ للوهلة الأولى أنه يمثل عالم الأنوثة والرقّة والأناقة، يتقاعى بالكم الهائل من الأسرار والفضائح والمكبوتات التي كانت مخبأة جميعها تحت الوجه البراق للمدينة، فالنسق الجمالي اشتغل في الفضاء المدني بالطريقة العكسية للجمال والأنوثة والأناقة، وقام بتعرية الركن الأساسي الذي بني عليه جسد المدينة، فالصالون هو مخبأ الأسرار في المدينة، مثله مثل القلب الذي هو بدوره صندوق الأسرار في الجسد، ولأن القلب هو الحب ولا حب دون وجود المرأة، فمن النسق الجمالي إلى النسق الإباحي والكشف عن المستور، فكما الوجه البراق للمدينة يخدع الناس، كذلك تفعل صالونات التجميل التي تجمل

فقط الوجوه لا الواقع المدني في حي المدينة، وبهذا تزواج زهور كرام مرة أخرى بين الجسد والمدينة في نسق آخر وهو النسق الجمالي.

4. تحليل النتائج:

ختمت لنا زهور كرام مسار الرواية ، بالمغادرة جسد المدينة من قبل ساكنيه، الذين اختاروا سبيل التخلي عن الانتماء والمغادرة إلى المجهول، فاشتغل نسق الحقيقة والمواجهة في المتن الروائي حيث قام أبناء حي المدينة بتطبيق حبيبهم، من خلال الخروج منه سواء لفرنسا كما فعلت أمال أو بالعودة للريف كما فعلت الساردة وهي صديقة سعيد شقيق أمال.

ولد أمل جديد في نهاية المطاف وهو حفيد العائلة الذي أخفته المدينة ضمن أسرارها، لنقرر أمه الكشف عنه ومواجهة الحقيقة مع نفسها ومع مدينتها التي ستودعها بمجيء الأمل الجديد، طفل ينتمي لتلك المدينة نعم"...الانتماء إلى وحل المدينة...ولكن هذه المرة سينطلق السؤال من القرب منا...من فضح سر المدينة..."(زهور كرام، 1996، ص92). وكأن حي المدينة الهامشي هو الابن الغير شرعي للمدينة، لذا دفع الضريبة غالية جداً، وهذا ما يكتشفه القارئ من خلال ذاك الكم الهائل واللامتناهي من الدلالات والعوالم المبنوثة في الرواية ، يصل إليها القارئ على شكل أنساق دلالية كل نسق يصب في نسق قريب وهكذا إلى نهاية النص الذي أعادنا للبداية.

5. خاتمة:

تؤكد القراءة النسقية للنص أن النص نظام يتسم بالنسقية التي تتضمن سلسلة لامتناهية من العلاقات والشفيرات المولدة للموضوعات الفكرية، وهذا ما وجدناه في رواية جسد ومدينة، تلك الرواية التي لا يتعدى عدد صفحاتها المئة صفحة، تحمل كم لا متناهي من الأنساق، من النسق السلطوي، إلى النسق الجمالي ، فنسق الحقيقة والمواجهة وغيرها من الأنساق الأخرى التي تستدعي قراء آخرين للنص.

لكون النص حادثة ثقافية نسقية تكتسب خاصية الانفتاح على فضاءات في الثقافة والايولوجيات والتاريخ، فالنسق يتحدد عبر وظيفته وليس عبر وجوده المجرد، ولما كانت جسد ومدينة تنتمي إلى رواية الحادثة، وفي أكبر صنيعها تعقيدا وإبهاماً لا على مستوى النص اللغوي، إنما على مستوى وضوح تشكل العلاقات ومواقع الشخصيات، ذلك أن ثمة

انتقالات غير مفهومة وأحيانا غير مبررة في تحديد هوية الراوية و مثل هذا الوضع المربك يحتاج إلى قارئ نموذجي يؤول النص إلى أنساق متنوعة لتغطي كل ما جاءت به زهور كرام من قضايا منها المصرح به ومنها المسكوت عنه، تركته للقارئ المتمكن الذي وبفضل القراءة النسقية يستطيع الولوج لخباياه واستنطاقه.

6. قائمة المراجع:

المؤلفات:

- 1- اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، معجم مصطلحات العولمة، دت.
- 2- بوشوشة بن جمعة، الرواية النسائية المغاربية، الدار المغاربية للطباعة والنشر، تونس، 2009.
- 3- زهور كرام، جسد ومدينة، مؤسسة الغنى للنشر، الرباط، 1996.
- 4- عبد الغفار العطلوي، ثقافة الجسد، قراءة في السرد النسوي العربي، مؤسسة السياب (لندن، للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، لندن)، ط1، 2013.
- 5- سمير خليل، طانية خطاب، دراسات ثقافية، الجسد الأنثوي، الآخر، السرد الثقافي، دار ضفاف للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة، قطر، ط1، 2018.
- 6- محمد سالم حسام الدين اسماعيل، الصورة والجسد، دراسات نقدية في الإعلام المعاصر، دت،

المقالات:

- 1- محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، المستقبل العربي، العدد 288، 1998.

7. ملاحق:

تعريف الروائية زهور كرام:

ولدت في مدينة سطات المغرب في 15 فبراير 1961، تابعت تعليمها الثانوي بمدينة الدار البيضاء، ثم التحقت بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط حيث حصلت على الإجازة في الأدب العربي سنة 1984، ثم حصلت على دبلوم الدراسات المعمقة (تخصص: الرواية) عام 1985، وفي سنة 1989 حصلت على دبلوم الدراسات العليا من كلية الآداب بالمحمدية، حصلت على دكتوراه السلك الثالث غي التعدد اللغوي، في إنتاج جبرا إبراهيم جبرا الروائي في عام 1989، وعلى دكتوراه الدولة في السرد النسائي العربي الحديث قراءة في التاريخ والخطاب عام 1999، بدأت النشر سنة 1985 بجريدة الاتحاد الاشتراكي، كمل نشرت

أعمالاً بمجموعة من الصحف والمجلات مثل: (الاتحاد الاشتراكي)، و(العلم) و (أنوال) و(الحوار الأكاديمي الجامعي)، و(الخضراء) و(الناقد) واليوم السابع) .

عملت أستاذة بكلية الآداب ببني ملال وأستاذة بالتعليم العالي في شعبة اللغة العربية وآدابها، جامعة ابن طيل بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقيظرة 1997، وأستاذة بـمستر الأدب المقارن بكلية الآداب بالرباط بجامعة محمد الخامس من 2007 حتى 2008، وعملت رئيسة البرنامج الموضوعاتي لدعم البحث العلمي حول إنجاز معجم المؤلفين والروايات بالمغرب من 1980 إلى 2000، عملت منسقة وحدة اللغات والتواصل بمسلك الدراسات العربية، كلية الآداب - القنيظرة من 2003 حتى 2009، عضو اتحاد كتاب المغرب.

نتائجها الروائي:

_ جسد ومدينة، 1996/ قلادة قرنفل، 2004/ غيثة تقطف القمر، 2014.

الانتاجات الأخرى:

_ سفر من الإنسان: شذرات (نصوص) 1996.

_ في ضيافة الرقابة (دراسة نقدية) 1998.

_ السرد النسائي العربي مقارنة في المفهوم والخطاب، نقد، 2001.

_ دراسات في السرد الاماراتي، 2016.